اشكالية مفهوم السنة في كتب الحديث المعاصرة

أ.م.د. خليل نوري مسيهر العاني[1]

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى الإجابة على الاشكالية في التعاطي مع مفردة السنة من خلال مراجعة الخلفية الفكرية والعلمية والشرعية والتاريخية لهذا المفردة (المفهوم)من حيث انها تشكل المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القران الكريم، ذلك ان اغلب الكتب والبحوث الشرعية الحديثة–وخاصة كتب علوم الحديث– تروج لتعريف معين لمصطلح السنة فقمت بمراجعة هذا التعريف وبيان اصوله في هذه الكتب والبحوث فتطرقت الى: تصنيف العلماء الذين اختلفوا في تعريف السنة كما ورد في تلك الكتب ومناقشة ذلك– بيان صحة عزو التعريف الى صاحبه– بيان سبب اختلاف العلماء في تعريف السنة وكما ورد في تلك الكتب ومناقشة ذلك– الجمع والتفريق بين مصطلحي الحديث والسنة– اثر تحريف مفهوم السنة في صناعة فكر متطرف. وكان من نتائج هذه الدراسة ان سجلت ووثقت مجموعة من الاخطاء والتحريفات في تعريف مفردة السنة، فضلا عن الخطأ الجسيم الناجم عن التعامل مع هذه المفردة على اساس كونها مصطلحا وليس مفهوما، كل ذلك جعلها احد اهم الاسباب في صناعة التطرف لدى فئة من المسلمين.

The problem of the concept of the Sunnah in contemporary Hadith books

This study aims to answer the problem of dealing with the Sunnah by reviewing the intellectual, scientific, legal and historical background of this concept (the concept) in that it constitutes the second source of Islamic legislation after the Holy Quran. The definition of the meaning of

[1]– دكتوراه في الفكر الاسلامي– استاذ مساعد في قسم علوم القران والتربية الاسلامية– كلية التربية/القائم– جامعة الانبار– العراق– البريد الالكتروني mekat.٢٠٠٧@yahoo.com رقم الموبايل : ٠٧٨١٢٩٠٩٢٢١

the Sunnah as stated in those books - a statement of the validity of the attribution of the definition to the owner - a statement of the reason why scientists differ in the definition of the concept of the Sunnah as stated in those Books-A Collect and differentiate between the terms of modern and the Sunnah after the distortion of the concept of the Sunnah in the extremist thought industry. The results of this study were recorded and documented a number of errors and distortions in the definition of the singular Sunnah , as well as the serious error resulting from dealing with this item on the basis of being a term and not a concept, making it one of the most important reasons in the industry of extremism among a group of Muslims.

السنة لغة:

جاء في لسان العرب في مادة سنن:(سُنّةُ الله احكامه واوامره ونهيه، هذه عن اللحياني، وسنّها الله للناس بينها، وسَن الله سُنّة اي بين طريقا قويما، قال تعالى:(سنة الله في الذين خلوا من قبل)[١] ... والسُنّة السيرة حسنة كانت ام قبيحة ... وسَنَنتها سَنّاً واستننتها سِرتُها، وسننت لكم سنة فاتبعوها)[٢] .

السنة في اصطلاحات كتب الحديث:

ليس الحديث عن اشكالية تحديد معنى السنة في كتب الحديث المعاصرة بأمر جديد، فقد تعرض لهذا الموضوع بعض الكتاب والمختصين والمهتمين بعلوم الحديث والسنة النبوية، سواء في كتب علوم الحديث ومصطلحاته، ام في الكتب الفكرية الاسلامية المختلفة التي تعرضت لمفهوم السنة .

---

[١] - سورة الاحزاب – الآية ٦٢

[٢]- لسان العرب- محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري- دار صادر- بيروت- ط١- بدون ت- ج١٣- ص٢٢٠

فذهبت اغلب هذه الكتب الى الترويج لمفهوم وتعريف واحد معين لمصطلح السنة، وبيان انه هو المراد منها، بل واكثر من ذلك ذهاب البعض الى ان هذا المعنى للسنة بهذا التوزيع والتصنيف هو تعريف متفق ومجمع عليه بين كل الباحثين من المسلمين سواء اكانوا من اللغويين او الاصوليين او الفقهاء او المحدثين!! [١]

ولو استعرضنا غالبية البحوث والكتب هذه في فقرة تعريف السنة فسنجد كلاما متطابقا، نذكر مثالا عليها في كتاب واحد:(السنة في اصطلاح المحدثين: هي كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خَلقية او خُلقية او سيرة، سواء اكان ذلك قبل البعثة، كتحنثه في غار حراء، ام بعدها .[٢]

والسنة في اصطلاح الاصوليين: هي كل ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن من قول او فعل او تقرير...[٣]

... والسنة في اصطلاح الفقهاء: هي كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من قبيل الفرض او الواجب[٤]...

---

[١]- ينظر: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه – محمد مصطفى الاعظمي – المكتب الاسلامي – دمشق – ١٩٨٠ – ص٢- وهو في الاصل رسالة دكتوراه قدمت سنة ١٩٦٦/ وهذا الكتاب ذكر ضمن اهم ما كتب في تاريخ السنة وعلومها في القرن الماضي-ينظر: التصنيف في السُّنَّة النبوية من بداية المنتصف الثاني للقرن الرابع عشر الهجري إلى الوقت الحاضر-عَرْض تاريخي-خلدون الاحدب- بحث مقدم الى ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية المقامة في المملكة العربية السعودية سنة ٢٠٠٤

[٢]- اسند الكاتبان هذا التعريف الى: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث-جمال الدين القاسمي- تحقيق: محمد بهجت البيطار- ط٢- دار احياء التراث العربي- دمشق- ١٩٦١- ص٦١/ والسنة ومكانتها في التشريع الاسلامي مصطفى السباعي- الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة – بدون ت- ص٥٩.

[٣] – اسند الكاتبان هذا التعريف الى: ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول- محمد بن علي الشوكاني- ط١- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر- ١٩٧٣- ٣٣ – والسنة ومكانتها- السباعي- ٤٥-٥٣- مصدر سابق.

[٤] – لم يذكر الكاتبان مصدر هذا التعريف للفقهاء

وسبب هذا الاختلاف في التعريف الاصطلاحي للسنة راجع الى اهتمام كل فريق منهم بما يعنيه ويهمه من السنة .

فعلماء الحديث انما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الامام الهادي الذي اخبر الله عنه انه اسوة وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل واخبار واقوال وافعال، سواء اثبت ذلك حكما شرعيا ام لا.

وعلماء الاصول، انما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كونه مشرعا يبين الاحكام للناس، ويضع القواعد للمجتهدين، فعنوا بأقواله وافعاله وتقريراته التي تثبت الاحكام وتقررها.

وعلماء الفقه، انما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تدل افعاله على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع في افعال العباد وجوبا، او حرمة، او اباحة او غير ذلك)[١].

هذا التعريف للسنة بهذه الصيغة، وبهذا التقسيم والتصنيف للعلماء، وبهذا الاسناد– العزو للمصدر– وبهذا التعليل لسبب الاختلاف في التعريف، موجود في اغلب كتب الحديث المعاصرة، وايضا الكتب التي تعرضت لمفهوم السنة، مع تقديم او تأخير او اضافة في بعض الكلمات، واحيانا اضافة مصدر جديد الى المصادر، والحقيقة انني من خلال مراجعتي لعدد كبير من هذه البحوث والكتب، لاحظت ثلاثة امور او افكار غريبة، تكاد تكون موجودة في كل هذه البحوث والكتب وقد يكون مرجع هذا الامر شخص واحد، الا انها احيانا تنسب اليه، واحيانا اخرى لا تنسب اليه، وهذه الامور الثلاثة هي:

الامر الاول: تصنيف العلماء

ان جميع هذه الكتب والبحوث تتفق على تصنيف العلماء الى ثلاثة اصناف، عندما يتعلق الامر بتعريف السنة، وهذه الاصناف الثلاثة هي:(المحدثون، الاصوليون، الفقهاء) واحيانا يضيف البعض اليهم (العقائديون او اهل العقيدة)[٢] ، او (علماء الوعظ والارشاد)[١].

---

[١] – علوم الحديث ونصوص من الاثر – رشدي عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري – بدون ت – طبع على نفقة جامعة بغداد وهو المقرر الدراسي لطلبة كليات الآداب في الجامعة – ص١٦–١٨

[٢]– ينظر: اتخاذ السنة النبوية الى جانب القران الكريم اساسا لشؤون الحياة والحكم– عبد الرحيم بن محمد المغذوي– بحث مقدم الى ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية المقامة في المملكة العربية السعودية سنة٢٠٠٤– ص٦

وارى ان الموضوع يحتاج الى مراجعة وتدقيق، فعندما نأتي على سبيل المثال الى اشهر المحدثين وائمة علم الحديث من المتقدمين فلا بد ان نذكر الائمة الاربعة، والامام الاوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، واسحق بن راهويه، وسفيان بن عيينة، وعبد الرزاق بن همام، وشعبة بن الحجاج الى جانب البخاري، ومسلم، والترمذي، وغيرهم فهؤلاء جميعا بلا خلاف كانوا ايضا ائمة في الاصول وفي الفقه والتفسير والعقيدة. ولا يمكن لاحد ان يقول ان هؤلاء مختصون بالحديث ولا علم لهم بالفقه، او انهم مختصون بالأصول ولا علم لهم بالعقيدة او التفسير .

اما اذا جئنا الى المتأخرين، من فحول علم الحديث وائمة الاصطلاح الحديثي فسنجد على سبيل المثال لا الحصر: الخطيب البغدادي،[٢] وابن الصلاح،[٣] والنووي،[٤] والعراقي،[١] وغيرهم، فهؤلاء

---

[١]- ينظر: الحديث والمحدثون – محمد محمد ابو زهو– دائرة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد – الرياض– ط٢ – ١٩٨٤– ص١٠ .

[٢] – الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه فانه يدل على اطلاع عظيم وصنف قريباً من مائة مصنف وفضله أشهر من أن يوصف وأخذ الفقه عن أبي الحسن المحاملي والقاضي أبي الطيب الطبري وغيرهما وكان فقيهاً فغلب عليه الحديث والتاريخ توفي سنة ٣٦٠ للهجرة. ينظر: وفيات الاعيان وابناء الزمان– ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان – تحقيق احسان عباس – دار صادر – بيروت– ١٩٦٨– ج٣– ص٢٤٣

[٣] – الامام الحافظ العلامة شيخ الاسلام تقي الدين ابو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي صاحب (علوم الحديث) مولده سنة ٥٧٧ للهجرة احد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وله مشاركة في عدة فنون توفي سنة ٦٤٣ للهجرة ينظر: سير اعلام النبلاء – شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد الذهبي – تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارناؤوط – مؤسسة الرسالة – ط٣–١٩٨٥– ج ٢٣ – ص ١٤١

[٤] – محيي الدين بن شرف بن مري النووي الشيخ الإمام القدوة الحافظ، الزاهد العابد، الفقيه المجتهد، الرباني، شيخ الاسلام، حسنة الأيام، محيي الدين، صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، واشتهرت بأقاصي البلدان...عارفاً بالحديث، قائماً على أكثر فنونه، عارفاً رجاله، رأس في نقل المذهب، متضلعاً من علوم الإسلام... مفتي الأمة، شيخ الاسلام، الحافظ النبيه الزاهد، أحد الأعلام، علَم الأولياء، توفي سنة

ايضا كانوا من كبار علماء الاصول والفقه والتفسير والتاريخ والادب ومرجعا من مراجعه- وتراجمهم دليل على ذلك-

فهل من الانصاف ان يقتصر وصف هؤلاء العلماء الاجلاء على انهم محدثون او علماء في الحديث؟ وهل وصفهم بالمحدثين يعني انهم لا يوضعون في خانة الفقهاء ولا الاصوليين ولا العقائديين ولا المؤرخين؟

---

٦٧٦ للهجرة. ينظر: المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الاولياء النووي- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي- تحقيق : احمد فريد المزيدي- دار الكتب العلمية- بيروت-ط١- ٢٠٠٥- ص٦٢

[١] - عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو الفضل زين الدين المعروف بالحافظ العراقي بحاثة من كبار حفاظ الحديث من كتبه (المغني عن حمل الاسفار في الاسفار) في تخريج أحاديث الاحياء و(نكت منهاج البيضاوي) في الاصول و(ذيل على الميزان) و(التقييد والايضاح) و(الالفية) في مصطلح الحديث وقد شرحها في كتابه الشهير(فتح المغيث) و(التحرير) في أصول الفقه و(نظم الدرر السنية) منظومة في السيرة النبوية و(الالفية) في غريب القرآن و(القرب في محبة العرب)= =و(تقريب الاسانيد وترتيب المسانيد) و(ذيل على ذيل العبر للذهبي) ومعجم ترجم به جماعة من أهل القرن الثامن الهجري توفي سنة ٨٠٦ للهجرة. ينظر: الاعلام - خير الدين الزركلي -دار العلم للملايين- بيروت- ط٥- ١٩٨٠- ج٣ - ص٣٤٤-٣٤٥ .

وقال عنه الامام الذهبي: الامام الاوحد العلامة الحجة الحبر الناقد عمدة الانام حافظ الاسلام فريد دهره ووحيد عصره من فاق بالحفظ والاتقان في زمانه وشهد له بالتفرد في فنه أئمة عصره واوانه زين الدين أبو الفضل...كان رحمه الله تعالى اماما مفننا حافظا ناقدا متقنا قرأ بالروايات السبع وبرع بالحديث متنا واسنادا وشارك في الفضائل وصار المشار إليه في الديار المصرية بالحفظ والاتقان والمعرفة تفقه بعدة منهم الشيخ عماد الدين محمد بن اسحق البلبيسي والامام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسين الاسنوي وعنه أخذ علم الاصول وعن الشيخ شمس الدين محمد بن احمد بن عبد المؤمن بن اللبان وكان الاسنوي يستحسن كلامه في ذلك ويصغي إلى مباحثه فيه ويقول ان ذهنه صحيح لا يقبل الخطأ وكان يثني على فهمه ويمدحه بذلك وذكره في ترجمة الحافظ ابي الفتح ابن سيد الناس فقال: وشرح قطعة من الترمذي يعني ابن سيد الناس في نحو مجلدين وقد شرع في اكماله حافظ الوقت زين الدين العراقي اكمالا مناسبا لأصله. ينظر: ذيل تذكرة الحفاظ - شمس الدين ابو المحاسن محمد بن علي الذهبي-دراسة وتحقيق: زكريا عميرات- دار الكتب العلمية -بيروت- بدون ت- ج١ - ص٢٢٠ - ٢٢٧.

هل يخالف النووي– على سبيل المثال– المحدث نفسه وهو يعرف السنة– من وجهة نظر المحدثين–ويبني احكامه انطلاقا من هذا التعريف، هل يخالف نفسه عندما يعرفها في احد كتبه الفقهية او الاصولية – حسب التعريف الاصولي او الفقهي– ويستند عليها في بناء احكامه !؟[1]

وبالمقابل هل من الانصاف ان نصف بعض العلماء خاصة الذين ورد عنهم في احد كتبهم تعريفا للسنة تم تصنيفه! بانه تعريف من الناحية الفقهية او من الناحية الاصولية او من الناحية العقائدية– حسب التصنيف المذكور– بانهم اصوليون او فقهاء او عقائديون وبالتالي هم ليسوا محدثين او ليسوا من علماء الحديث!؟ ولنفترض جدلا صحة هذا التصنيف !؟

فهل الذين تم اسناد تعريف السنة اليهم – في تلك الكتب والبحوث المعاصرة– من وجهة نظر المحدثين او علماء الحديث، هم من فئة علماء الحديث او المحدثين حقا !؟ وهل كتبهم التي تم الرجوع اليها واعتمادها في تعريفهم للسنة– على فرض صحة العزو للمصدر والنسبة اليه–هي كتب علم الحديث او مصطلح الحديث!؟ من خلال مراجعتي لعدد كبير من هذه البحوث والكتب المعاصرة، وجدتها كلها في ما يخص تعريف السنة من وجهة نظر المحدثين او علماء الحديث، تعتمد على مجموعة معينة من الكتب او العلماء او الباحثين، وكلهم من المتأخرين او من المعاصرين، فمن المتأخرين: ابن تيمية،[2] في كتاب(

---

[1] – وجدت من انتبه وانتقد هذا الفهم والتصنيف الخاطئ للعلماء في كتب الحديث المتأخرة، وهو وان كان غرضه من النقد القول ان العلماء الذين تصنفهم هذه الكتب على انهم اصوليون كان الاولى والاجدر بمؤلفيها تصنيفهم على انهم محدثون بل ائمة في علم الحديث، وهذا حق وصواب، اقول وان كان هذا غرضه من النقد الا ان النتيجة التي نبتغيها واحدة . ينظر: اختلاف المحدثين والاصوليين في منهج نقد السنة – حاتم بن عارف الشريف– مركز نماء للبحوث والدراسات– ص٢ – من على الموقع : www.nama-center.com

[2] – هو الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة ومفتي الأمة وبحر العلوم سيد الحفاظ وفارس المعاني والألفاظ فريد العصر وقريع الدهر شيخ الإسلام بركة الأنام وعلامة الزمان وترجمان القرآن علم الزهاد وأوحد العباد قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقي الدين أبو العباس احمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ... ابن تيمية الحراني نزيل دمشق وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها . ينظر: العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام احمد ابن تيمية– شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قدامة المقدسي– تحقيق: محمد حامد الفقي – دار الكاتب العربي – بيروت– بدون ت– ص١٨. وترجم له الامام الزركلي بالقول: كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية

مجموع الفتاوى) وابن حجر العسقلاني،[١] في كتابه (فتح الباري)، فعلى اي اساس صنف هذان الكتابان على انهما من كتب الحديث! وفي كليهما نجد مختلف مسائل العلوم الشرعية من عقيدة وتفسير وفقه واصول ولغة وبلاغة وسيرة وتاريخ وادب فضلا عن الحديث وعلومه، حتى غدا هذان الكتابان مرجعا للعلماء والباحثين على اختلاف صنوفهم وتخصصاتهم، وعليه فلا يعقل ان يختزل وصف وتصنيف هذين الكتابين ضمن كتب علم الحديث، ونجد ايضا السخاوي،[٢] (في فتح المغيث)، والسيوطي،[٣] في(تدريب

إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرّس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها (الجوامع – ط) في السياسة الإلهية والآيات النبويّة، ويسمى (السياسة الشرعية) و (الفتاوى – ط) خمس مجلدات. ينظر: الاعلام – الزركلي– ج١– ص١٤٢– مصدر سابق

[١] – أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. قصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الاسلام في عصره، قال السخاوي:(انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الاكابر) ترجم له تلميذه السخاوي في مجلد ضخم سماه(الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر) ينظر: الاعلام– الزركلي–ج٢– ص٦٥ . وجاء في ترجمته في التبر المسبوك: اشتهر ذكره وبعد صيته وارتحل الائمة إليه وتبجح الفضلاء بالوفود عليه وكثر طلبته حتى كان رؤوس العلماء في كل مذهب وبكل قطر من تلامذته وانتشرت جملة من تصانيفه في حياته وأقرأ الكثير منها وتهادتها الملوك وكتبها الاكابر ولو لم يكن له الا شرح البخاري لكان كافيا في علو مقداره ولو وقف عليه ابن خلدون القائل بأن شرح البخاري الى الآن دين على هذه الامة لقرت عينه بالوفاء والاستيفاء . ينظر: التبر المسبوك في ذيل السلوك– محمد بن عبد الرحمن السخاوي– تحقيق: نجوى مصطفى كامل ولبيبة ابراهيم مصطفى–دار الكتب والوثائق القومية– القاهرة– ٢٠٠٢– ج٢ – ١١٠

[٢] – محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي: مؤرخ حجة، وعالم بالحديث والتفسير والادب. أصله من سخا (من قرى مصر) ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة. ساح في البلدان سياحة طويلة، وصنف زهاء مئتي كتاب أشهرها (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع – ط) أثنا عشر جزءا توفي سنة ٩٠٢ للهجرة . ينظر: الاعلام– الزركلي– ج١٣– ص٤٩٠– مصدر سابق

[٣] – السُيوطي، جلال الدين (٨٤٩ – ٩١١ هـ) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم. وُلد في القاهرة ونشأ فيها. رحل إلى الشام

الراوي)،والقاري،[1] في(شرحه على شرح النخبة)، والصنعاني،[2] في(توضيح الافكار). وهم جميعا من المتأخرين.

والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر فاستقر بها. تولى مناصب عدة. ولما بلغ الأربعين، اعتزل في منزله وعكف على التصنيف. ذُكر له من المؤلفات نحو ٦٠٠ مؤلف. منها المجلدات الكبيرة ومنها الرسالة القصيرة ذات الورقة أو الوريقات. وذكر الأستاذ أحمد الشرقاوي في كتابه مكتبة الجلال السيوطي أن عدد مؤلفاته بلغ ٧٢٥ مصنفًا. من أشهر كتبه: الجامع الكبير؛ الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير؛ الإتقان في علوم القرآن؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك؛ الخصائص والمعجزات النبوية؛ طبقات الحفاظ؛ طبقات المفسرين؛ الأشباه والنظائر وهما كتابان باسم واحد أحدهما في اللغة، والثاني في فروع الشافعية؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ الفريدة، وهي ألفية في النحو، وله ألفية أخرى في مصطلح الحديث؛ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، وله مشاركات أدبية: شعر ومقامات. توفي بالقاهرة. ينظر: الموسوعة العربية العالمية–مجموعة من العلماء والباحثين–من على موقع الموسوعة العربية العالمية– www.wikipedia.org

[1] – الملا علي القاري (ت ١٠١٤ هـ) علي بن (سلطان) محمد نور الدين الملا الهروي القاري فقيه حنفي من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. قيل: كان يكتب في كل عام مصحفا وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام. صنف كتبا كثيرة منها : تفسير القرآن، في ثلاثة مجلدات و الاثمار الجنية في أسماء الحنفية، و(الفصول المهمة) في الفقه، و بداية السالك وشرح مشكاة المصابيح، و شرح مشكلات الموطأ، و شرح الشفاء و شرح الحصن الحصين، في الحديث، وشرح الشمائل، وسيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني، شرح قصيدة بدء الأمالي، في التوحيد، ومنح الروض الازهر في شرح الفقه الاكبر، ورسالة في الرد على ابن العربي في كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلول والاتحاد، وتوضيح المباني، شرح مختصر المنار، في الاصول، ينظر: الاعلام – الزركلي – ج١٠ – ص ٣٤–٣٦– مصدر سابق

[2] – الصنعاني(١٠٩٩ – ١١٨٢ هـ) محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني أبو إبراهيم عز الدين المعروف كأسلافه بالأمير، مجتهد من بيت الامامة في اليمن أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام. له نحو مئة مؤلف، ذكر صديق حسن خان أن أكثرها عنده في الهند. ولد بمدينة كحلان، ونشأ وتوفي بصنعاء. من كتبه: توضيح الافكار لمعاني تنقيح الانظار، مجلدان في مصطلح الحديث، وسبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الاحكام لابن حجر العسقلاني، في الفقه ومنحة الغفار حاشية على

فكل هذه النجوم اللامعة في رحاب الحضارة الاسلامية قدمت من العطاء والبذل للامة الاسلامية الشيء العظيم، فكانوا منارات يهتدى بها في شتى العلوم، ولا يعقل ان نحصر علمهم وعطائهم في تخصص واحد، فهذا من الاجحاف والظلم بحقهم وفضلهم علينا، اما من المعاصرين فهناك اسماء وكتب اخرى تم عزو تعريف السنة من وجهة نظر المحدثين او علماء الحديث اليها وهم : القاسمي،[١] في(قواعد التحديث)، والجزائري،[٢] في(توجيه النظر).

ضوء النهار، في فقه المذهب الزيدي، والمسائل المرضية في بيان اتفاق أهل السنة والزيدية،(الروض النضير) في الخطب، و(ارشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد) في الاصول، و(تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد)، والرد على من قال بوحدة الوجود ينظر: الاعلام – الزركلي- ج١٣- ص ٨٨ -٩٠

[١]- جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ) جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق من سلالة الحسين السبط إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الادب. مولده ووفاته في دمشق. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. اطلعت له على اثنين وسبعين مصنفا، منها دلائل التوحيد، الفتوى في الاسلام، وموعظة المؤمنين اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي، وتنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب، تعطير المشام في مآثر دمشق الشام ،أربع مجلدات، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ومحاسن التأويل في ١٧ مجلدا في تفسير القرآن الكريم. ينظر: الاعلام- الزركلي –ج٤ – ص٣٤٤

وقد نعاه الامام محمد رشيد رضا في العدد١٧ من مجلة المنار: علامة الشام ونادرة الايام والمجدد لعلوم الاسلام محيي السنة بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب والتأليف، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن، الفقيه الاصولي، المفسر، المحدث، الاديب المتفنن، التقي الاواب، الحليم الاواه، العفيف النزيه، صاحب التصانيف الممتعة، والابحاث المقنعة. ينظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث – محمد جمال الدين القاسمي- تحقيق مصطفى شيخ مصطفى- مؤسسة الرسالة ناشرون- ط١- ٢٠٠٤- ص١٣

[٢] – الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨ – ١٣٣٨ هـ = ١٣٥٢ – ١٩٢٠ م) طاهر بن صالح (أو محمد صالح) ابن أحمد بن موهب السمعوني الجزائري ثم الدمشقي، بحاثة من أكابر العلماء باللغة والادب في عصره. أصله من الجزائر، ومولده ووفاته في دمشق. كان كلفا باقتناء المخطوطات والبحث عنها، فساعد على إنشاء (دار الكتب الظاهرية) في دمشق، وجمع فيها ما تفرق في الخزائن العامة، وساعد على إنشاء (المكتبة الخالدية) في القدس. و انتقل إلى القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ، ثم عاد إلى دمشق سنة ١٣٣٨ هـ، فكان

وايضا نسبت هذه الكتب والبحوث تعريفها للسنة من وجهة نظر المحدثين وعلماء الحديث الى بعض الباحثين والكتّاب والاكاديميين مثل: أبو زهو،[1] في(الحديث والمحدثون)، والسباعي،[2] في(السنة ومكانتها)، وعبد الفتاح ابو غدة،[3] في(السنة وبيان مدلولها)، ومحمد عجاج الخطيب،[1] في كتابيه(السنة قبل التدوين و اصول الحديث)، ونور الدين عتر،[2] في (منهج النقد في علوم الحديث).

من أعضاء المجمع العلمي العربي، وسمي مديرا لدار الكتب الظاهرية. وتوفي بعد ثلاثة أشهر. كان يحسن أكثر اللغات الشرقية كالعبرية والسريانية والحبشية والزواوية والتركية والفارسية. وله نحو عشرين مصنفا، منها: الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية، وبديع التلخيص، في البديع، ومد الراحة، في المساحة، والفوائد الجسام في معرفة خواص الاجسام، وكتاب في الحساب ، وتسهيل المجاز إلى فن المعمى والالغاز، والتبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، وشرح خطب ابن نباتة، وتمهيد العروض إلى فن العروض، وتوجيه النظر إلى علوم الاثر، والتقريب إلى أصول التعريب، وتفسير القرآن ، في أربعة مجلدات، والالمام ، في السيرة النبوية. ومن أجل آثاره: التذكرة الظاهرية، وهي مجموعة كبيرة في موضوعات مختلفة. ينظر: الاعلام – الزركلي –ج٧– ص٨٩– مصدر سابق.

[1] – لم اعثر على ترجمة له سوى في كتابه (الحديث والمحدثون) على انه اطروحة دكتوراه قدمها سنة ١٩٤٦ في جامعة الازهر

[2] – مصطفى السباعي (١٣٣٣– ١٣٨٤هـ = ١٩١٥–١٩٦٧م) مصطفى بن حسني، أبو حسان السباعي: ولد بحمص في سورية وتعلم بها وأحرز شهادة دكتوراه في التشريع الاسلامي وتاريخه من الازهر سنة(١٩٤٩) واستقر في دمشق، ونشر من تأليفه ٢١ كتابا، منها (السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي) و (اشتراكية الاسلام) و (شرح قانون الاحوال الشخصية) ثلاثة أجزاء، و(الدين والدولة في الاسلام) و (المرأة بين الفقه والقانون) و (منهجنا في الاصلاح) وهيأ للنشر سبعة، منها (السيرة النبوية، تاريخها ودروسها) و (النظام الاجتماعي في الاسلام) و (العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في التاريخ) وتوفى بدمشق. ينظر: الاعلام– الزركلي – ج١٦– ص٨٠

[3] – احد اشهر محققي المخطوطات الاسلامية في العلوم الشرعية في زماننا هذا ولد سنة ١٩١٧م وتوفي سنة ١٩٩٧م. وله عدد كبير من المؤلفات منها: صفحات من صبر العلماء، وقيمة الزمن عند العلماء، ولمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية

فهل ابو زهو او السباعي او ابو غدة او عتر او الخطيب هم من المحدثين او من علماء الحديث– مع كل احترامنا واجلالنا لهم ولشخصهم وعلمهم وفضلهم– .

ولماذا تعزو اغلب كتب علوم الحديث المعاصرة تعريف السنة من وجهة نظر المحدثين اليهم والى كتبهم !؟ وليس هذا فقط وانما يدّعون بان هذا التعريف هو تعريف المحدثين او علماء الحديث !؟ مع ان هؤلاء الباحثين – باستثناء ابو زهو– كانوا يعزون في كتبهم تعريف السنة الى صاحبه ويكتبون عرّفه المحدثون او عرّفه الاصوليون او عرّفه الفقهاء ...الخ .

الامر الثاني: نسبة تعريف السنة الى المحدثين

سبق وقلنا ان اغلب كتب وبحوث علوم السنة والحديث المعاصرة، وايضا الكتب والبحوث المعاصرة التي تتطرق لعلم السنة والحديث، تنسب تعريف السنة الى مجموعة من الكتّاب المعاصرين، وهذا أمر غريب! ذلك ان السنة هي ثاني مصدر من مصادر الشريعة الاسلامية بعد القران الكريم، وينبني على تعريفها وفهمها احكام في غاية الاهمية والخطورة، سواء على المستوى الديني ام على المستوى الدنيوي.

وهذا الامر الخاطئ يجب ان ننتبه اليه، فلا يعقل ان تستند كتاباتنا في تعريف هذا المفهوم المهم والخطير الى الكتب المعاصرة، دون الرجوع الى العلماء المؤسسين من المتقدمين او حتى من المتأخرين على اقل تقدير ومعرفة آرائهم وما ذهبوا اليه في هذا الموضوع والتحقق منها، وامر اخر ايضا وهو ان هذا التعريف–المعتمد حاليا– انتشر كثيرا في اغلب البحوث والكتب، خاصة التي تعتمد كمنهج للتدريس في الكليات والمعاهد، واصبح وكأنه امر بديهي، وانه تعريف متفق ومجمع عليه بين كل العلماء والكتّاب، في حين ان الحقيقة خلاف ذلك، وانه بالأصل يحتاج الى التأكد والتثبت منه، فضلا عن وجود الخلاف حوله، نذكر من هذه البحوث على سبيل المثال: بحث عبدالله الخطيب اذ يعرّف السنة من وجهة نظر المحدثين – حسب قوله– بانها: (السنة اصطلاحا: فهي تعني عند المحدثين: كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه

---

[١]– من مواليد ١٩٣٢ في دمشق وهو استاذ علم الحديث في عدد من الجامعات وله عدد من المؤلفات منها: ابو هريرة راوية الاسلام، وقبسات من هدي النبوة، ولمحات في المكتبة والبحث. نقلا عن: الموسوعة العربية العالمية

[٢] – من مواليد ١٩٣٧ في حلب وهو استاذ علم الحديث في عدد من الجامعات العربية وله عدة مؤلفات منها: منهج النقد في علوم الحديث، وعلوم القران الكربم. نقلا عن: الموسوعة العربية العالمية

وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خَلْقية أو خُلُقية او سيرة [١])[٢]، وينقل محمد ابو بكر بو جمعان في بحثه انها عند علماء الحديث:(كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خَلْقية أو خُلُقية او سيرة سواء اكان ذلك قبل البعثة- كتحنثه في غار حراء- ام بعدها والسنة بهذا مرادفة للحديث النبوي [٣])[٤] .

وتعرّفها ايضا شيخه بنت مفرج المفرج :(السنة في اصطلاح المحدثين هي: كل ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء، أم بعدها. والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي[٥])[٦] .

ويعرفها عليان والدوري، بانها:(السنة في اصطلاح المحدثين: هي كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خَلْقية أو خُلُقية او سيرة سواء اكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء ام بعدها[٧])[١] .

---

[١] -يسند الكاتب هذا التعريف الى كتاب: اصول الحديث علومه ومصطلحه- محمد عجاج الخطيب- ط٢- دار الفكر- بيروت- ٢٠٠٦- ص١٣

[٢] - الرد على مزاعم المستشرقين اجناتس وغولدتسيهر ويوسف ساخت ومن ايدهما من المستغربين - عبدالله عبد الرحمن الخطيب- ص٣ - ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة

[٣]- يسند الكاتب هذا التعريف الى كتاب: اصول الحديث- عجاج الخطيب- ص١٩- مصدر سابق / والحديث والمحدثون- محمد أبو زهو- ص١٠- مصدر سابق

[٤] - السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الاسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والعمل- محمد ابو بكر با جمعان- بحث مقدم الى ندوة عناية المملكة بالسنة والحديث - ص٦

[٥] - تشير الكاتبة الى انها اخذت تعريف السنة بتصرف من كتابي: السنة قبل التدوين- محمد عجاج الخطيب- ط٣- دار الفكر- بيروت- ١٩٨٠/ والسنة ومكانتها في التشريع الاسلامي- مصطفى السباعي- ط٤- المكتب الاسلامي- بيروت- دمشق- ١٩٨٥

[٦] - السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقران الكريم - شيخة بنت مفرج المفرج- بحث مقدم الى ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة - ص٩

[٧] - يسند الكاتبان هذا التعريف الى: قواعد التحديث- القاسمي- ص٦١ - مصدر سابق/ والسنة ومكانتها- السباعي- ص ٥٩- مصدر سابق.

وايضا رفعت فوزي حيث يعرّف السنة بالقول:(فالسنة عند علماء الحديث هي كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة سواء ادل ذلك على حكم شرعي ام لا[٢])[٣] .

ويعرفها القطان :(السنة عند المحدثين: ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة او سيرة[٤])[٥] ، فهل اولئك الكتّاب ممن اسند تعريف السنة اليهم- في الكتب والبحوث المذكورة اعلاه- وتمت الاشارة اليهم على انهم محدثون او علماء الحديث، هل هؤلاء هم المحدثون !؟ وهل هم اصحاب هذا التعريف حقا!؟ ام انهم اخذوه عن اخرين !؟ واسندوا تعريف السنة الى صاحبه !؟

فاذا ما رجعنا الى هؤلاء الذين تمت الاشارة اليهم على انهم المحدثون او علماء الحديث !؟ ورجعنا الى كتبهم المشار اليها، وبدأنا بعجاج الخطيب، فسنجد انه في كتابيه يسند تعريف السنة الى كتَاب معاصرين ايضا !؟ وبدوره ايضا يصف الذين اخذ عنهم التعريف بانهم المحدثون!؟ فيقول: (السنة عند المحدثين: هي كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خَلْقية أو خُلُقية او سيرة سواء اكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء ام بعدها والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي[٦])[١].

---

[١] – علوم الحديث ونصوص من الاثر- عليان والدوري – ص ١٦ – مصدر سابق

[٢] – يسند الكاتب هذا التعريف الى: السنة قبل التدوين- عجاج الخطيب- ط١- مكتبة وهبة- القاهرة- ١٩٦٣- ص ١٥-١٨ ، والسنة ومكانتها في التشريع- السباعي- الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة- ص٥٢ – ٥٣

[٣] – توثيق السنة في القرن الثاني الهجري اسسه واتجاهاته – رفعت بن فوزي بن عبد المطلب – مكتبة الخنانجي – مصر- ط١- بدون ت – ص١٨

[٤] – يسند الكاتب هذا التعريف: الى السنة ومكانتها للسباعي – ص ٦١ – دون ذكر باقي معلومات الكتاب.

[٥] – مباحث في علوم الحديث – مناع القطان – مكتبة وهبة – القاهرة- ط٤- ٢٠٠٤- ص١٥

[٦] – يسند الكاتب هذا التعريف في كتابيه الى كتاب: السنة ومكانتها في التشريع- مصطفى السباعي- دار العروبة- القاهرة- ١٩٦١- ص٦١/ والمدخل الى السنة وعلومها- محمد معروف الدواليبي- مطبعة جامعة دمشق- ١٣٧٥-ص٢٧- وهذا الكتاب لم اعثر عليه رغم كل المحاولات التي قمت بها وفي اكثر من دولة عربية

اما ابو زهو فانه لم يشر الى اي مصدر عند تعريفه للسنة عند علماء الحديث:(وعلماء الحديث يريدون بالسنة –على ما ذهب اليه جمهورهم– اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريراته وصفاته الخِلقية والخُلُقية وسيره ومغازيه وبعض اخباره قبل البعثة مثل تحنثه في غار حراء ومثل سيرته)[٢] .

والسباعي هو الاخر ينسب تعريف السنة عند المحدثين الى كتّاب معاصرين واصفا اياهم بالمحدثين!؟ فيقول:(السنة وهي في اصطلاح المحدثين: ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خَلْقية أو خُلُقية او سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة او بعدها[٣])[٤]

والامر الغريب هنا انني عندما رجعت الى القاسمي في كتابه المشار اليه لم اجده يعرَف السنة بهذا التعريف، وانما وجدته يعرّف السنة بالقول: (والمراد بها في اصطلاح الشارع واهل عصره ما دل عليه دليل من قوله او فعله او تقريره ولهذا جعلت السنة مقابلة للقران وبهذا الاعتبار تطلق على الواجب كما تطلق على المندوب)[٥] ، فلم اجد النص الذي اورده السباعي على انه تعريف للسنة عند المحدثين!؟ ولم يرد في تعريف السنة عند القاسمي ذكر انها تعريف المحدثين اصلا!؟ والامر الاكثر اهمية انه لم يرد في كتاب القاسمي ذكر الصفة ولا السيرة في تعريف السنة !؟ ، وايضا عندما رجعت الى كتاب توجيه النظر للجزائري لم اجد النص الذي اورده السباعي على انه تعريف السنة عند المحدثين !؟ بل وجدت تعريفا مختلفا تماما، حيث ورد فيه :(واما السنة فتطلق في الاكثر على ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم من قول او

---

[١] – اصول الحديث علومه ومصطلحه–محمد عجاج الخطيب– دار الفكر– بيروت– ط٢– ٢٠٠٦– ص١٣ وايضا: السنة قبل التدوين – محمد عجاج الخطيب– مكتبة وهبة – القاهرة– ط٢– ١٩٨٨– ص ١٦–١٧

[٢] – الحديث والمحدثون – محمد ابو زهو– ص١٠– مصدر سابق.

[٣] – يسند السباعي هذا التعريف الى: قواعد التحديث– القاسمي– ط البابي الحلبي–١٣٨٠هـ– ص٣٥، وكتاب: توجيه النظر الى علوم الاثر– طاهر الجزائري– ط مصر– ١٣٢٨هـ– ص٢

[٤]– السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي– مصطفى السباعي– المكتب الاسلامي– ط٢– بيروت– ١٩٧٦– ص٤٦–٤٩

[٥] – قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث–جمال الدين القاسمي– تحقيق: محمد بهجت البيطار– ط٢– دار احياء التراث العربي– دمشق– ١٩٦١– ص١٤٦

فعل او تقرير، فهي مرادفة للحديث عند علماء الاصول وهي اعم منه عند من خص الحديث بما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم من قول فقط)[١] وهنا ايضا لا يوجد ذكر للصفة او السيرة في تعريف السنة.

ولكنني وجدت كتبا وبحوثا اخرى عرّفت السنة من وجهة نظر المحدثين واسندت تعريفها الى عدد من العلماء المتأخرين ومن هؤلاء عبد الفتاح ابو غدة اذ عرّف السنة بالقول:(وعرّف المحدثون السنة بانها: ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خَلْقية أو خُلُقية او سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة او بعدها[٢])[٣]، ومرة اخرى لم اجد هذا التعريف بهذه الصيغة ولا بهذا المفهوم الذي اورده ابو غدة ونسبه الى ابن حجر وابن تيمية، ذلك انني عندما رجعت الى فتح الباري وجدت ابن حجر يعرّف السنة بقوله: (والمقصود بالكتاب القران المتعبد بتلاوته وبالسنة ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريره وما هم بفعله والسنة في اصل اللغة الطريقة وفي اصطلاح الاصوليين والمحدثين ما تقدم وفي اصطلاح الفقهاء ما يرادف المستحب)[٤]، فلم يذكر ابن حجر الصفة ولا السيرة عند تعريفه للسنة، بل وساوى في تعريف السنة بين اصطلاح الاصوليين والمحدثين.

اما ابن تيمية فانه عرّف السنة في مجموع الفتاوى بالقول:(والسنة: قوله وفعله واقراره)[٥] ، ولا ذكر للصفة او السيرة في تعريفه، ونحن اذا ما توسعنا في ما ذهب اليه ابن تيمية في تعريف الحديث والسنة كون كثير من الكتاب والباحثين يرجعون الى ما كتبه ابن تيمية في هذا الموضوع نسبة او استنباطا او تأويلا لكلامه فسنجد اختلافا كبيرا بين ما ذهب اليه وقصده ابن تيمية وبين تأويل اولئك الكتاب والباحثين

---

[١]- توجيه النظر الى اصول الاثر- طاهر الجزائري الدمشقي- ط١- المطبعة الجمالية – مصر- ١٩١٠- ص٣

[٢]-استخلص ابو غدة هذا التعريف من كتابي: فتح الباري لابن حجر- ج١٣- ص ٢٥٢- ٢٥٣، وكتاب: مجموع الفتاوى لابن تيمية – ج١٨- ص٦-١٠- دون الاشارة الى باقي معلومات الكتابين.

[٣]-السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي- عبد الفتاح ابو غدة- دار البشائر الاسلامية – ط٢- بيروت- ٢٠١٠- ص٧-٨

[٤] - فتح الباري شرح صحيح البخاري- احمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار المعرفة- بيروت- ١٣٧٩هـ- ج١٣- ص ٢٤٥-٢٤٦

[٥]-مجموع الفتاوى- تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني- تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المملكة العربية السعودية – ١٩٩٥- ج١٩- ص١٩٥

ولنأخذ مثالا على ذلك ما اورده بو جمعان في بحثه–المشار اليه سابقا– فبعد ان عرّف السنة عند المحدثين ونسبها الى عجاج الخطيب وابو زهو– ولم ينسبها الى ابن تيمية– !!– عنون بعدها– هل يختلف مفهوم السنة عن مفهوم الحديث– فقال: (لقد سبق بيان تعريف السنة فيما سبق، وسأتحدث الآن عن تعريف الحديث ليتضح مدى اتفاقهما أو اختلافهما في المعنى، الحديث يطلق في اللغة على الجديد ضد القديم، كما يطلق على الخبر والقصص. قال في القاموس المحيط: والحديث: الجديد والخبر[١]، وتخصيص الحديث بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم قد بدأ في حياته، فعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال: قلت يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال: لقد ظننت يا ابي هريرة الا يسالني عن هذا الحديث احد اول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه .[٢]

ثم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اتسع هذا المصطلح حتى أصبح بعد ظهور علم مصطلح الحديث، يطلق معنى الحديث على: ما أضيف إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفةً.[٣]، بعد عرض تعريف السنة والحديث، اتضح أنه لا فرق بينهما في التعريف الشرعي؛ وقد بيَن ابن تيمية هذا الأمر فقال: الحديث النبوي عند الإطلاق ينصرف إلى ما حدث به بعد النبوة : من قوله وفعله وإقراره . ثم قال: فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة.[٤]

---

[١] – ينسب بو جمعان هذا التعريف الى : القاموس المحيط –مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي– دار الجيل– بيروت– مادة حدث ٧٠/١

[٢] – ينسب بو جمعان هذا الحديث الى: سنن أبي داود– أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٧٥هـ)– إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس– نشر وتوزيع: محمد علي السيد– حمص– ط١– ١٩٦٩م– ج١٣/٥–١٤– الحديث رقم ٤٦٠٧. مع ان الحديث مذكور في: صحيح البخاري – محمد بن اسماعيل البخاري – تحقيق مصطفى ديب البغا– ط٣– دار لبن كثير– بيروت– ١٩٨٧– ج١–ص٤٩–رقم الحديث ٩٩.

[٣] – ينسب بو جمعان هذا التعريف الى: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث– محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)– دار الكتب العلمية– بيروت– ط١– ١٩٧٩م–ص٦١.

[٤] – ينسب بو جمعان هذا الكلام الى: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية– لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)– جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم– طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف– ١٤١٦هـ/١٩٩٥م– ج٦/١٨–٧

ثم أضاف ابن تيمية أنه يدخل في تعريف السنة ما يتعلق بسيرته وحسن أخلاقه؛ فقال- بعد أن تحدث عن بعض أفعاله وتقريراته- فهذا كله يدخل في مسمى الحديث، وقد يدخل فيها بعض أخباره قبل النبوة، وبعض سيرته قبل النبوة، مثل: تحنثه بغار حراء ومثل حسن سيرته، كقول خديجة له: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق.[١])[٢]، وهذا الكلام فيه من الخلط والتخبط ما فيه:

- فالباحث لم ينسب لا تعريف الحديث ولا تعريف السنة الى ابن تيمية وانما نسبها الى اخرين.

- وهو عندما ذكر في كلامه تعريف ابن تيمية للحديث فلا وجود للصفة او السيرة فيه.

- وقول الباحث (ثم اضاف ابن تيمية انه يدخل في تعريف السنة ما يتعلق بسيرته وحسن اخلاقه) لا صحة له فابن تيمية انما يتكلم هنا عن الحديث وليس عن السنة .

- وقول الباحث (فهذا كله يدخل في مسمى الحديث- يقصد السيرة قبل وبعد النبوة-) غير صحيح ايضا، فابن تيمية انما قال (وهذا قد يدخل في مسمى الحديث) ومعلوم ان قد في اللغة تفيد التقليل، فضلا عن انه هنا يتكلم عن الحديث وليس عن السنة، والنص الذي اورده ابن تيمية هو كالاتي:(الحديث النبوي هو عند الاطلاق ينصرف إلى ما حدث به عنه بعد النبوة من قوله وفعله واقراره فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة... والمقصود أن حديث الرسول صلى الله عليه و سلم إذا أطلق دخل فيه ذكر ما قال بعد النبوة وذكر ما فعله فإن أفعاله التي أقر عليها حجة لا سيما إذا أمرنا أن نتبعها كقوله صلوا كما رأيتموني أصلى وقوله لتأخذوا عني مناسككم...ومما يدخل في مسمى حديثه ما كان يقرهم عليه مثل إقراره على المضاربة التي كانوا يعتادونها وإقراره لعائشة على اللعب بالبنات وإقراره في الأعياد على مثل غناء الجاريتين...فهذا كله يدخل في مسمى الحديث وهو المقصود بعلم الحديث فانه إنما يطلب ما يستدل به على الدين وذلك إنما يكون بقوله أو فعله أو إقراره وقد يدخل فيها بعض أخباره قبل النبوة وبعض سيرته قبل النبوة مثل تحنثه بغار حراء ومثل حسن سيرته لأن الحال يستفاد منه ما كان عليه قبل النبوة من كرائم الأخلاق ومحاسن الأفعال كقول خديجة له كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق ومثل المعرفة فإنه كان أميا لا يكتب ولا يقرأ وأنه لم يجمع متعلم مثله وإن كان معروفا بالصدق والأمانة وأمثال ذلك مما يستدل به على أحواله التي تنفع في المعرفة بنبوته وصدقه فهذه الأمور ينتفع بها في دلائل النبوة كثيرا ولهذا يذكر مثل ذلك من كتب سيرته كما يذكر فيها نسبه وأقاربه وغير ذلك بما يعلم أحواله وهذا أيضا قد يدخل في مسمى الحديث والكتب التي فيها أخباره منها

---

[١] - ينسب بو جمعان هذا الكلام الى: مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية - ١٠/١٨- مصدر سابق

[٢] - السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الاسلامي - بو جمعان - ص٨ - مصدر سابق

كتب التفسير ومنها كتب السيرة والمغازي ومنها كتب الحديث وكتب الحديث هي ما كان بعد النبوة أخص وإن كان فيها أمور جرت قبل النبوة فإن تلك لا تذكر لتؤخذ وتشرع فعله قبل النبوة بل قد أجمع المسلمون على أن الذى فرض على عباده الإيمان به والعمل هو ما جاء به بعد النبوة)[١] .

وكلام ابن تيمية واضح هنا عندما خص معرفة السنة بالأمور الثلاثة قوله وفعله واقراره، ولا ذكر للصفة او السيرة هنا. وانما ذكر بصيغة التقليل(قد)ادخال بعض من سيرته قبل وبعد النبوة في مسمى الحديث–وليس الكلام هنا عن السنة– موضحا ان سيرته قبل النبوة ليست للتشريع وانما للاستفادة منها في صدق ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وحسن اخلاقه، فكيف الحال اذا تم –اصلا– استبعاد تعريف ابن تيمية للحديث لأنه غير جامع –حسب قول الباحث– :(وقال ابن تيمية: والحديث النبوي عند الاطلاق ينصرف الى ما حدث به عنه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة من قوله وفعله واقراره .[٢]...وتعريف ابن تيمية: لم يذكر فيه الوصف، فهو غير جامع ايضا)[٣]، وهناك كتاب اخرون اسندوا في بحوثهم وكتبهم تعريف السنة من وجهة نظر المحدثين الى مصادر اخرى، ومن هذه البحوث والكتب بحث المغذوي وجاء فيه: (فالسنة عند المحدثين: هي ما اضيف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خَلْقية أو خُلُقية[٤])[٥].

وعندما رجعت الى فتح المغيث لم اجد فيه تعريف السنة وانما وجدته يعرف الحديث بمعنى مقارب لما اورده المغذوي ووصفه!؟ بانه تعريف السنة عند المحدثين!؟ ونسبه الى السخاوي والتعريف هو:(والحديث لغة ضد القديم واصطلاحا ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم قولا له او فعلا او تقريرا او

---

[١] – مجموع الفتاوى – ابن تيمية –ج١٨ – ص٦–١١– مصدر سابق

[٢] – يسند الكاتب هذا التعريف الى : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية – ١٨/٦–٧– مصدر سابق.

[٣] – الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به – عبد الكريم بن عبدالله الخضير – مكتبة دار المنهاج – الرياض– ط١– ١٤٢٥ هـ – ص١٤

[٤] – يسند الكاتب هذا التعريف الى: فتح المغيث شرح الفية الحديث – شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي – تحقيق: صلاح عويضة– دار الكتب العلمية– بيروت– ١٤١٧هـ– ج١ – ص٦

[٥] – اتخاذ السنة النبوية الى جانب القران الكريم اساسا لشؤون الحياة والحكم – عبد الرحيم بن محمد المغذوي – ص٥ – بحث مقدم الى ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة– مصدر سابق

صفة حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام فهو اعم من السنة الاتية قريبا، وكثيرا ما يقع في كلام اهل الحديث ومنهم الناظم ما يدل لترادفهما)[١].

ويعرفها الحسين ايت بقوله:(السنة اصطلاحا: عرّفها المحدثون بقولهم: ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل وتقرير وصفة خَلْقية وخُلُقية وهم واشارة يقظة ومناما قبل النبوة وبعدها[٢])[٣].

اما توجيه النظر فقد سبقت الاشارة اليه, واما كتاب توضيح الافكار فقد رجعت اليه، ومرة اخرى لم اجده يعرف السنة بهذا التعريف الذي اورده الباحث !؟ بل لم يتطرق الى تعريفها اصلا !؟ وانما جاء فيه تعريف للحديث بلفظ مقارب لما اورده الباحث على انه تعريف للسنة!؟ والنص هو كالاتي: (واما الحديث فهو علم رواية ورسمه ايضا بأنه علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قيل أو إلى صحابي فمن دونه قولا أو فعلا أو هما أو تقريرا أو صفة، وقيل ما جاء عن النبي صلى عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره)[٤]، وهذه البحوث والكتب التي ذكرتها انما هي امثلة ونماذج لما عليه البقية وكلها تسير على نفس المنوال! وعليه فلا وجود لأي نص لا للمتقدمين ولا للمتأخرين تذكر فيه الصفة او السيرة ضمن تعريفهم للسنة المطهرة وجميع ما ذكر في البحوث والكتب المعاصرة سواء في مجال علوم الحديث او السنة او السيرة او الفكر الاسلامي من تضمين الوصف والسيرة ضمن مفهوم السنة غير صحيح لا عزوا ولا استنباطا بل ومخالف للنصوص الاصلية التي تم الرجوع اليها.

الامر الثالث: سبب اختلاف العلماء في التعريف

ان معظم هذه البحوث والكتب قبل او بعد ذكرهم لتعريف السنة والحديث، وذكر معظمها لعدم وجود فرق بين هذه التعريفات، يؤكدون على عدم وجود اي اشكالية في الاختلاف اللغوي او الاصطلاحي بين السنة والحديث، وان هذا الاختلاف في التعريف بين الاصوليين والمحدثين والفقهاء– حسب تصنيفهم–

---

[١]– فتح المغيث شرح الفية الحديث– شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي– دار الكتب العلمية– لبنان– ١٤٠٣– ج١– ص١٠

[٢] – يسند الكاتب هذا التعريف الى: توضيح الافكار للصنعاني– ج١– ص٣/ وتوجيه النظر للجزائري– ج٢ – ص٣– دون ان يذكر باقي المعلومات المتعلقة بالكتابين.

[٣] – السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقران– الحسين ايت سعيد– ص٣– بحث مقدم الى ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة– مصدر سابق.

[٤]– توضيح الافكار لمعاني تنقيح الانظار– محمد بن اسماعيل الامير الحسني الصنعاني– تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد– المكتبة السلفية – المدينة المنورة– بدون ت – ج١– ص٦–٧

مرده الى اختلاف نوع العلم الذي يختص به العالِم وانه لا مشاحة في الاصطلاح ويهونون من شان هذا الاختلاف، من امثلة ذلك ما اوردته احدى الباحثات عن هذا الموضوع:(السنة اصطلاحاً: على ضوء المعاني اللغوية السابقة عرَّف أهل العلم الربانيون السنة اصطلاحاً بتعريفات شتى، كلّ حسب تخصصه الحديثي أو الأصولي أو الفقهي، ولا يعنينا هنا تتبُّع كل تلك المصطلحات والاختلافات؛ ذلك لأن هذا الاختلاف في إطلاقات السنة لفظي وغير جوهري مرجعه اختلاف الأغراض والأهداف والتخصصات التي عُني بها كل فريق من أهل العلم)[١].

واول من علل لهذا الاختلاف في تعريف السنة بهذا الاسلوب وبهذا التقسيم هو ابو زهو اذ يقول:(يختلف معنى السنة عند اهل الشرع حسب اختلاف الاغراض التي اتجهوا اليها من ابحاثهم فمثلا علماء اصول الفقه عنوا بالبحث عن الادلة الشرعية وعلماء الحديث عنوا بنقل ما نسب الى النبي صلى الله عليه وسلم وعلماء الفقه عنوا بالبحث عن الاحكام الشرعية من فرض وواجب ومندوب وحرام ومكروه والمتصدرون للوعظ والارشاد عنوا بكل ما امر به الشرع او نهى عنه لذلك اختلف المراد من لفظ السنة عندهم بل وقد يقع الاختلاف ايضا بين علماء الطائفة الواحدة منهم)[٢]، وبعده السباعي حيث صاغ اسباب هذا الاختلاف في تعريف السنة صياغة اخرى قريبة منها، وفيها:(ومرد هذا الاختلاف في الاصطلاح الى اختلافهم في الاغراض التي يعني بها كل فئة من اهل العلم. فعلماء الحديث انما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الامام الهادي الذي اخبر الله عنه انه اسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل واخبار واقوال وافعال، سواء اثبت ذلك حكما شرعيا ام لا، وعلماء الاصول انما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة فعنوا بأقواله وافعاله وتقريراته التي تثبت الاحكام وتقررها.

وعلماء الفقه انما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا تخرج افعاله عن الدلالة على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على افعال العباد وجوبا او حرمة او اباحة او غير ذلك)[٣] .

وعلى هذه الصياغة وهذا التعليل لسبب الاختلاف في التعريف استند معظم الكتّاب والباحثين الذين جاءوا بعده. والسؤال الان هو:

---

[١] – السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الاسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والمرتبة والعمل – رقية بنت نصر الله محمد نياز – بحث مقدم الى ندوة السنة النبوية –ص٤– مصدر سابق

[٢] – الحديث والمحدثون – ابو زهو – ص٩– مصدر سابق

[٣] – السنة ومكانتها في التشريع– مصطفى السباعي – ص٤٨–٤٩– مصدر سابق

– كيف يمكن ان يستسيغ العقل المسلم ان يكون الاختلاف في تعريف ثاني مصدر من مصادر الشريعة الاسلامية امراً غير جوهري !؟

–كيف يمكن ان تكون مفردة–السنة– مصطلحا يكون تعريفه وفهمه خاضعا للاختلاف والاجتهاد والنقاش!؟

– كيف يعقل ان نضع مفردة كالسنة ضمن خانة المصطلحات وبالتالي نفتح مجالا للاختلاف في تعريفها وبيان مفهومها ومعانيها ودلالتها وبالتالي حتى ما يترتب عليها بداعي قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح!؟

– ماذا لو عرّفها شخص ما تعريفا لا يرضي اصحاب هذه البحوث والكتب، ولا يستقيم مع فكرهم وتوجهاتهم وآرائهم، معللا تعريفه بأنه لا مشاحة في الاصطلاح، او بانه عرّفها تبعا للعلم الذي يخوض فيه !؟ وهناك تعليل اخر غريب لسبب الاختلاف في تعريف السنة يورده رفعت فوزي بقوله:(اذا بدأنا بالاستعمالات الاولى للسنة وجدنا انهم يريدون بها عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته...)[١]. ثم يكمل الكلام بعدها بالقول:(وبعد ان استقرت المصطلحات في مؤلفات اصول الحديث والفقه واصوله وجدنا للسنة مفهومات محددة تسير عليها هذه المؤلفات ويسير عليها العلماء المتأخرون في هذه العلوم الثلاثة. فالسنة عند علماء الحديث هي: كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة سواء ادل ذلك على حكم شرعي ام لا، والسنة عند علماء اصول الفقه هي: كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير يصلح ان يكون دليلا لحكم شرعي.

والسنة عند علماء الفقه هي: كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض.[٢])[٣].

ولكن اذا كان مصطلح السنة قد استقر على تعريف معين– والمراد هنا عند المحدثين– سار عليه المتأخرون من العلماء، واعتمدوه في كتبهم، فلماذا لم يذكر لنا –رفعت فوزي– كتابا واحدا، او عالما واحدا، اعتمد هذه التعريف للسنة !؟ لماذا اسند التعريف الى كتب معاصرة وكتّاب معاصرين !؟

---

[١]– توثيق السنة في القرن الثاني الهجري اسسه واتجاهاته– رفعت بن فوزي عبد المطلب–ص١٢– مصدر سابق.

[٢] – هذه التعريفات للسنة اسندها الباحث الى كتابين هما: السنة قبل التدوين– محمد عجاج الخطيب– ط١– مكتبة وهبة – القاهرة– ١٩٦٣– ص١٥–١٨/ والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي– مصطفى السباعي– الدار القومية للطباعة والنشر– القاهرة– ص٥٢– ٥٣

[٣] – توثيق السنة – رفعت فوزي – ص١٧– مصدر سابق

ومن ضمن التبريرات لسبب الاختلاف في تعريف السنة ما اورده صبحي الصالح بقوله:(ولئن اطلقت السنة في كثير من المواطن على غير ما اطلق الحديث، فان الشعور بتساويهما في الدلالة، او تقاربهما في المعنى على الاقل، كان دائما يساور نقاد الحديث. فهل السنة العملية الا الطريقة النبوية التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤيدها بأقواله الحكيمة واحاديثه الرشيدة الموجهة؟ وهل موضوع الحديث يغاير موضوع السنة، الا يدوران كلاهما حول محور واحد؟ الا ينتهيان اخيرا الى النبي صلى الله عليه وسلم في اقواله المؤيدة لأعماله وفي اعماله المؤيدة لأقواله.

حين جالت هذه الاسئلة في اذهان النقاد لم يجدوا باسا في ان يصرحوا بحقيقة لا ترد: اذا تناسينا موردي التسميتين كان الحديث والسنة شيئا واحدا؛ فليقل اكثر المحدثين: انهما مترادفان)[1]

- فما هي الحقيقة التي لا ترد !؟

- مفردتان مختلفتان: لغة ومعنى، دلالة وقصدا، تكون المطالبة بنسيان وتجاهل هذا الاختلاف، والقول والاعتقاد بانهما شيء واحد !؟

ولكن لماذا وتحت اية ذريعة تتم المطالبة بهذا الامر؟

- ثم ما معنى جملة (فليقل اكثر المحدثين) !؟

- ماذا تعني (الفاء) هنا !؟

- ولم استخدام فعل الامر (ليقل) !؟

- ومن هم (اكثر المحدثين) المشار اليهم هنا !؟

انا لم افهم شيئا من هذه الجملة الا كونها دعوة من صبحي الصالح للكتّاب والباحثين المعاصرين له او الذين سيأتون بعده- وصفهم صبحي الصالح هنا ب(المحدثين) !؟[2]- عندما يكتبون كتابا او بحثا او

---

[1]- علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة- صبحي الصالح- دار العلم للملايين- بيروت- ط١٥- ١٩٨٤- ص٩

[2] - ذكر السيوطي عدة تعريفات لمن يوصف ب(المحدث) منها قوله: وقال ابن سيد الناس: واما المحدث في عصرنا فهو: من اشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع رواة واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه/ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي- عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي- تحقيق: مازن بن محمد السرساوي- دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية- ط١-١٤٢١هـ- ج١ ص٨٤/ وتعريف اخر ذكره القاري: قال العراقي: المحدث في عرف المحدثين من يكون له كتب وقرأ وسمع ووعى ورحل الى المدائن والقرى وحصل اصولا من متون الاحاديث

مقالا في علوم الحديث او علوم السنة، ان يُعَرِّفوا السنة بنفس التعريف الذي يعرفوا به الحديث- وهو ما حصل فعلا- والذي هو حسب رأي صبحي الصالح:(اضافة قول او فعل او تقرير او صفة الى النبي صلى الله عليه وسلم)[١].

الداعي الى التفريق بين المفردتين:

ان هذا الاصرار الغريب من هذا الجمع من الباحثين على تحريف معنى السنة، بجعل الصفة والسيرة من ضمنها، والتركيز على عدها مرادفة للحديث، وانه لا وجود لشيء اسمه سنة تشريعية وسنة غير تشريعية، وانما كل حديث سنة وكل سنة حديث، وكل ما فيها تشريع يؤخذ به !؟ بل والاغرب من ذلك ادعاء البعض بانه تعريف متفق عليه بين علماء المسلمين!؟ * كل هذا يثير الريبة والشك من مغزى هذا الامر !؟ وارى ان هذا امر خطير جدا وله ابعاده وتداعياته، ليس فقط على فكر المسلمين، وانما ايضا على سلوكياتهم التي يعكسها هذا الفكر، واجد ان اول من تنبه لخطورة هذا الامر وحذر منه، هو محمد توفيق صدقي[٢]، وذلك ضمن المناظرة الشهيرة التي جرت في مجلة المنار في بداية القرن الماضي، بينه وبين اثنين من العلماء وهم صالح اليافعي وطه البشري، حول جملة من المواضيع تتعلق بالسنة النبوية ومن ضمنها: هل السنة كلها تشريعية ام انها تنقسم الى تشريعية وغير تشريعية، فجاء ضمن مقالته التي رد فيها عليهما حيث خلطا بين السنة والحديث وهما يتكلمان عن موضوع تدوين الحديث، فنراهما تارة يكتبان السنة وتارة يكتبان الحديث ويتكلمان عنهما وكأنهما شيء واحد.[٣]

وفروعا من كتب المسانيد والعلل والتواريخ التي تقرب من الف تصنيف/ شرح شرح نخبة الفكر في مصطلحات اهل الاثر- نور الدين ابو الحسن علي بن سلطان محمد القاري الهروي- تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم - دار الارقم- لبنان- بدون ت- ج١- ص١٢٢

[١] -علوم الحديث - صبحي الصالح- ص٣- مصدر سابق

* ينظر ص٢ من هذا البحث

[٢] - طبيب وكاتب مصري

[٣]- ينظر: السنن والاحاديث النبوية- صالح بن علي اليافعي- المجلد ١١- ص١٤١-٢١٤-٢٩٢-٣٧١- ٤٥٤- ٥٢١. سلسلة من المقالات نشرت في مجلة المنار وينظر ايضا: اصول الاسلام -طه البشري- مجلة المنار- المجلد ٩- ص ٦٩٩- وايضا الدين والعقل- طه البشري-مجلة المنار المجلد ٩- ص٧٧١. واغلب الظن هنا ان الخلط الذي وقع فيه= =اليافعي والبشري هو من قبيل ما اشار اليه السخاوي وهو يعرف الحديث ويذكر تقارب المعنى - من جهة وحدة المصدر حسب راينا- بينه وبين السنة

فكان مما جاء في مقالة صدقي:(معنى السنة وبيان وُجُوب العمل بها: السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي: الخطة والطريقة المتبعة، فسنته صلى الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله واقتدى به أصحابه فيها، وهي واجبة الاتباع حتمًا على كل مَن آمَنَ به وصدقه صلى الله عليه وسلم، وهذا هو المراد بما جاء في الحث على اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعًا، كما لا يخفى على متأمل في أقوالهم، ومن ذلك حديث:(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)[1] أي عليكم بطريقتي وطريقة خلفائي الراشدين مِن بعدي، فلا نِزاعَ في أن اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين... فهناك فرق عظيم بين لفظ(السنة) ولفظ (الأحاديث) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيدًا، حتى لا يقع في الخلط والخبط. وقد أدرك الإمام مالك هذا الفرق، فكان– رضي الله عنه – يقدم عمل أهل المدينة على الأحاديث، ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو صحت أسانيدها، وقد رد من ذلك مئات كثيرة. أما تسمية الأحاديث مطلقًا بالسنة، فهي من اصطلاح المتأخرين، ولولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالاتنا إلى تقييد لفظ السنة بقولنا(العمليَّة) فإن السنة لا تكون إلا عمليَّة، وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأً يجري عليه العمل دائمًا فلا يسمى سنة عند المتقدمين)[2].

وممن تنبه لخطورة هذا الموضوع الشيخ سليمان الندوي في مقال اشتهر كشهرته هو،[3] اذ حذر من عدم التفريق بين السنة والحديث فقال:(معنى السنة والفرق بينها وبين الحديث: كنا عقدنا مقالنا هذا لبيان السنة والدعوة إليها؛ ولكن اقتضت الحال أن نبحث أولاً عن الحديث الذي هو أعم من السنة، وإذ انتهى ذلك فلنبحث في معنى السنة، ولنذكر الفرق بين السنة والحديث؛ فإن كثيرًا من الناس لا يفرقون بينهما ويجعلونهما في منزلة واحدة، وينشأ من ذلك ضرر كبير، الحديث كل واقعة نُسبت إلى النبي عليه السلام

ولم يكونا يقصدان منه التحريف من اجل الانتصار لرايهما. ينظر: ص١٦ من هذا البحث وفيها تعريف السخاوي للحديث.

[1] – سنن ابي داوود– ابو داوود سليمان بن الاشعث بن اسحاق السجستاني(ت٢٧٥هـ)– تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد كامل قره بللي– دار الرسالة العالمية– ط١– ٢٠٠٩– ج٧– ص١٦– رقم الحديث ٤٦٠٧

[2] – السنن والاحاديث النبوية– محمد توفيق صدقي– مجلة المنار– المجلد ١١– ص ٧٧١

[3] – هذا المقال ذكر ضمن اهم ما كتب في الدفاع عن السنة المشرفة ضد المشككين . ينظر: التصنيف في السُنَّة النبوية من بداية المنتصف الثاني للقرن الرابع عشر الهجري إلى الوقت الحاضر–عَرْض تاريخي– خلدون الاحدب– ندوة السنة النبوية– مصدر سابق.

ولو كان فعلها مرة واحدة في حياته الشريفة، ولو رواها عنه شخص واحد، وأما السنة فهي في الحقيقة اسم للعمل المتواتر– أعني كيفية عمل الرسول عليه السلام– المنقولة إلينا بالعمل المتواتر، بأن عمله النبي عليه السلام ثم من بعده الصحابة، ومن بعدهم التابعون وهلمَّ جرا، ولا يُشترط تواترها بالرواية اللفظية، فيمكن أن يكون الشيء متواترًا عملاً ولا يكون متواترًا لفظًا، كذلك يجوز أن تختلف الروايات اللفظية في بيان صورة واقعة ما فلا يسمى متواترًا من جهة السند؛ ولكن تتفق الروايات العملية على كيفية العمل العمومية فيكون متواترًا عمليًّا ، فطريقة العمل المتواترة هي المسماة بالسنة وهي المقرونة بالكتاب في قوله عليه السلام:(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله تعالى وسنة رسوله)[١] وهي التي لا يجوز لأحد من المسلمين كائنًا من كان تركها أو مخالفتها وإلا فلا حظ له في الإسلام. مثلاً: إذا علمنا أن النبي عليه السلام من حين فُرضت الصلوات الخمس واظب عليها مدة حياته الشريفة في هذه الأوقات المعلومة، وبهذه الهيئة المعروفة، وكذلك الصحابة بعده، والتابعون بعدهم، ثم المسلمون إلى يومنا هذا سواء منهم الذين وجدوا قبل تدوين كتب الحديث، والذين وجدوا بعدهم، واتفق المسلمون قرنًا بعد قرن مع اختلاف أعصارهم وبلدانهم وأفكارهم ونِحَلهم على أن النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة كانوا يصلون خمس مرات في اليوم والليلة في هذه الأوقات المعلومة بهذه الصورة المخصوصة وبهذه الأركان فهذا هو التواتر العملي وإنكاره مكابرة بل جنون، لا يتجرأ عاقل أن يقول: إن تعيين هذه الأوقات للصلاة أو هذه الأركان، هو من وضع المحدِّثين أو الفقهاء وقلدهم فيها المسلمون؛ لأننا لو فرضنا أن كتب الحديث والفقه ما وجد منها شيء ففي تلك الحالة أيضًا كانت الصلاة تكون معروفة بهذا الشكل منقولة إلينا بالتواتر العملي، وكذلك الأمر في الزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض والمحرمات. وتدوين كتب الحديث إنما كان بمنزلة تسجيل لتاريخ هذا العمل المتواتر بصورة صحيحة محفوظة)[٢].

وبعد ان انتهى من بيان الفرق بينهما اضاف قائلا:(قد ظهر مما تقدم أن بين الحديث والسُّنة فرقًا كبيرًا، فالحديث هو الرواية اللفظية لأقوال الرسول عليه السلام وأعماله وأحواله، وأما السنة فهي الطريقة المتواترة للعمل بالحديث، بل بالقرآن أيضًا مثلاً ورد في القرآن الأمر بإقامة الصلاة وبين فيه بعض تفاصيلها أيضًا، فالرسول عليه السلام صلى بموجب ذلك وقال لنا:(صلوا كما رأيتموني أصلي)[٣] واستمر على تلك الكيفية وكذلك الصحابة فالتابعون وسائر المسلمين، وهكذا الأمر في الصيام والزكاة والحج وسائر

---

[١] – الموطأ– مالك بن انس بن مالك–(ت١٧٩)– تحقيق: محمد مصطفى الاعظمي–مؤسسة زايد بن سلطان– الامارات–ط١–٢٠٠٤– ج٥– ص١٣٢٣– رقم الحديث ٣٣٣٨

[٢]– تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة اليها– سليمان الندوي – مجلة المنار –العدد ٣٠ – ص ٦٧٣

[٣] – صحيح البخاري– ج١– ص٢٢٦– رقم الحديث ٦٠٥– مصدر سابق

الأوامر القرآنية، فالصورة العملية التي رسمها الرسول عليه السلام لألفاظ القرآن هي السنة، وهي في الحقيقة تفسير عملي للقرآن، وهي من هذه الحيثية أعلى من الروايات اللفظية بمراتب كثيرة)[1].

وكان من ضمن تعليق صاحب المنار على هذا المقالة:(وإنما السنة سيرته صلى الله عليه وسلم في الهدي والاهتداء بالقرآن، وهو أعلم الناس به وأحسنهم هديًا، وإطلاقها على ما يشمل الأحاديث اصطلاح حادث)[2]، وقد حذا حذو صدقي والندوي ورضا في الدعوة الى ضرورة التفريق بين السنة والحديث، والى تقسيم السنة الى ما هو تشريعي وغير تشريعي، مجموعة من العلماء والكتاب والاكاديميين،[3] وهذا طبعا على خلاف اخرين يرفضون هذا التفريق والتقسيم تماما، بيد ان القرضاوي قد شخَص الخلل عندما عزى سبب هذا الخلاف في جزء كبير منه الى اضافة الصفة والسيرة الى تعريف السنة حيث يقول:(وسبب ذلك ان كلمة السنة في معناها اللغوي– الذي هو الاصل فيها– تعني الطريقة المتبعة وهذا لا يكون الا فيما قصد به التشريع والاتباع، فلما انتقل معناها الى كل ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة او سيرة، كما اصطلح عليه اهل العلم اخيرا–ولا مشاحة في الاصطلاح– دخل في السنة ما يكون للتشريع وهو الغالب وما لا يكون للتشريع وهو قليل ولكنه موجود ومن اخطر الامور في مجال التعليم–التي كثيرا ما تضلل الدارسين–حمل مصطلحات المتقدمين على مصطلحات المتأخرين الحادثة فالمتقدمون مثلا يطلقون كلمة النسخ ويعنون بها ما لا يعنيه المتأخرون منها وكذلك كلمة السنة) [4]، والتشخيص هنا صحيح الى حد كبير، ولكن يبدو ان القرضاوي قد وقع فيما حذر منه، وذلك حين سلَم بإدخال الصفة والسيرة الى تعريف السنة ونسبتها الى المتأخرين !؟ دون ان يمحص ويتبين مدى

---

[1] – المصدر نفسه– ص٦٧٣

[2] – المصدر نفسه– ص٦٧٣

[3] – نذكر منهم: الأستاذ محمد رشيد رضا في مجلة المنار المجلد ٨٥٨/٩، والدكتور عبد المنعم النمر في كتبه: السنة والتشريع، والاجتهاد، وعلم أصول الفقه، والشيخ عبد الجليل عيسى في كتابه: اجتهاد الرسول، والشيخ على حسب الله في كتابه التشريع، والشيخ محمد الغزالي في كتابه كيف نفهم الإسلام، والدكتور محمد سليم العوا في العدد الافتتاحي من مجلة المسلم المعاصر، والدكتور يوسف القرضاوي في كتابه السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية وغيرهم، ينظر: العصريون معتزلة اليوم– يوسف كمال الحوت– دار الوفاء– ط١–١٩٨٦– ص٥٣ – ٧٢ .

[4] – السنة مصدرا للمعرفة والحضارة– يوسف القرضاوي– ط٢– دار الشروق– ٢٠٠٢– ص٤٩–٥٠

صحة هذه الاضافة وهذه النسبة، فضلا عن اقراره ايضا بانه لا مشاحة في الاصطلاح!! في مفردة تعد ثاني مصدر من مصادر التشريع الاسلامي.

تحريف معنى السنة واثره في صناعة فكر متطرف:

ليس المقام هنا التعريف عن اهمية السنة ومنزلتها وحجيتها ومرتبتها في صياغة التشريعات الاسلامية، ولا عن اثرها في حياتنا كمسلمين. ذلك ان ايماني بهذا كله هو الاساس الذي استند عليه في بحثي هذا :(فالسنة النبوية هي الوحي الثاني، او الوحي غير المتلو، الذي هو البيان النبوي للقران الكريم، وهي المصدر الثاني لتشريع الاحكام وتوجيه السلوك لدى المسلمين، لهذا كان التعامل معها فريضة على المسلمين فهما وفقها، ايمانا والتزاما، عملا وسلوكا، دعوة وتعليما)[١] .

ومن هنا فلا بد ان يكون مفهومنا للسنة راسخا لا تتلاعب فيه الاهواء، ولا الاصطلاحات البشرية، ولا يكون مفهومنا لها خاضعا للفرق والآراء والمذاهب المتنازعة .

ولما كانت منزلة السنة بهذا القدر من الاهمية في ديننا الاسلامي، وان مفهومنا لها وتعاملنا معها يعكس حتما سلوكياتنا الدينية والدنيوية، فاذا اخذنا بنظر الاعتبار ما زعم انه تعريف السنة على انها: كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خلقية او خلقية او سيرة سواء قبل البعثة ام بعدها، وان السنة مرادفة للحديث النبوي، وانهما شيء واحد، وان السنة(الحديث) كلها تشريع. ولا وجود لشيء اسمه سنة تشريعية وغير تشريعية ومن يتقول بغير هذا الكلام فهو ضال مضل مبتدع .

اقول: – اذا اخذ هذا التعريف والفهم للسنة فئة من اهل العلم او طلابه، او حتى ممن يحسبون انفسهم على اهل العلم وطلابه، واعتمدوه كمبدأ وأصل للتعبد والعمل والدعوة والتربية والنصح والارشاد، وخاصة لدى جيل الشباب والناشئة، في المدن والقرى والارياف، في المدارس والمساجد والجامعات، في الكتب والبحوث والمقالات.

– ونشروا تعريف السنة بهذا الفهم بين الناس، ورسخوه في اذهانهم وعقولهم وقلوبهم.

– وقرئوا عليهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:(كل أمتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى)[٢] .

– وشرحوه لهم–حسب فهمهم للسنة– بان من اطاع الرسول واتبعه في كل ما كان عليه، وفي كل ما ذكر عنه، في اي من صفاته الخَلقية أو الخُلقية او سيرته او اقواله او افعاله او تقريراته او ما هم به،

---

[١] – كيف نتعامل مع السنة النبوية– يوسف القرضاوي– ط١٤– دار الشروق– القاهرة– ٢٠١٢– ص٧

[٢] – صحيح البخاري– محمد بن اسماعيل البخاري–تحقيق: محمد زهير ناصر– دار طوق النجاة– ط١– بدون ت–ج٩– ص٩٢– رقم الحديث ٧٢٨٠

سواء قبل البعثة ام بعدها، في اي حديث صح عنه فهو في الجنة، ومن خالف الرسول وابى اتباعه في كل ما ذكر او ورد عنه في اي من صفاته الخلقية او الخلقية او سيرته او اقواله او افعاله او تقريراته او ما هم به، سواء قبل البعثة ام بعدها في اي حديث صح عنه فهو ضال مضل مبتدع، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول:(خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)[1] .

– والى جانب هذا كله نشروا ان الدين الصحيح يعني الوقوف عند ظواهر النصوص القرآنية والنبوية ولا مكان في ديننا للتأويل، او حتى الاستدلال بالقياس وان كان صحيحا، ذلك ان الرأي لا وزن له بجانب النص .[2]

– ولا عليك ان خالفك الناس او خالفتهم او استغربوا من سلوكك وتصرفك وزيَك وفكرك، ان اتبعت النص كما هو وتمسكت به، مهما كان هؤلاء الناس عامة او علماء، ومهما كان هذا النص القرآني او النبوي يحمل من الدلالات الظنية او التأويلات او القياس او المعاني اللغوية الخافية عليك او العلة الكامنة وراء النصوص او اقوال العلماء في هذه النصوص واجتهاداتهم واختلافاتهم في تفسيره وتأويله، فلا تلتفت لهذا كله، فانك على الحق المبين، وعلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته.

– فان رأيت نفسك غريبا بينهم، مختلفا عنهم، تدعوهم فلا يستجيبون، تصلح ويفسدون–حسب وجهة نظرهم– فقد حققت المطلوب، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (بدأ الاسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء)[3].

وللاستزادة اكثر في رواية اخرى:(ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما افسد الناس من بعدي من سنتي)[4]، وللتأكيد اكثر في رواية اخرى:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده: طوبى للغرباء فقيل: ومن الغرباء يا رسول الله. قال: اناس صالحون في اناس سوء

---

[1] – صحيح مسلم– مسلم بن الحجاج– تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي– دار احياء التراث العربي– بيروت– بدون ت– ج٢– ص٥٩٢– رقم الحديث ٨٦٧

[2] – ينظر: تيارات الفكر الاسلامي – محمد عمارة– دار الشروق– مصر– ط٢– ١٩٩٧– ص٢٥٥

[3] – صحيح مسلم– ج ١– ص١٣٠– رقم الحديث ١٤٥

[4] – سنن الترمذي– ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي– حققه وصححه: عبد الوهاب عبد اللطيف– دار الفكر للطباعة والنشر– بيروت– بدون ت– ج٤– ص١٣٠– رقم الحديث٢٧٦٥ . حديث حسن

كثير، من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم)[١] ، فأي اقناع بعد هذا ينجر اليه اولئك الشباب، واي الغاء لدور العلماء ودور العقل والفهم والحكمة. فيلقي اولئك الشباب بأنفسهم في احضان هذا الفكر وينجرون اليه، ويترسخ في اذهانهم انهم على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته، وان غيرهم من غير المعتقدين او المؤمنين بما امنوا هم به، اولئك مخالفون لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، بعيدون عن هديه وهدي اصحابه، والحل- برأي هذه الفئة- معهم اي مع هؤلاء العاصين، المبتدعين، الضالين، المخالفين-حسب[٢] وجهة نظرهم- لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ولما كان عليه هو وصحابته والتابعين هو... الحل رأيناه وعايشناه قبل عشر سنوات مع تنظيم القاعدة، واليوم نعيشه مع تنظيم ما اطلق على نفسه اسم الدولة الاسلامية، التي جاءت حسب ادعائها لتقيم دولة الاسلام، وتحكم بشرع الله، وتطبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما هي، وكما وردت ووصلت الينا بنصوصها وبكلماتها وحروفها بلا زيادة ولا نقصان .

فأحكمت في الناس قتلا وذبحا، وتقطيعا وجلدا، وتعزيرا ورجما، منذ اليوم الاول لقيامها لان هؤلاء الناس-حسب رأيهم- مبتدعون ضالون مخالفون لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، هذا لأنه قصر لحيته، وذاك لأنه اطال ثوبه، واخر لأنه صلى ركعتين قبل الجمعة، واخر لأنه زاد ركيعات على التراويح بعد الثمان، واخر لأنه ردد بعد الاذان كلمات، وغيره لأنه تكلم بكلمة مخالفة لهم ولأفكارهم او سلوكهم، فكانت النتيجة: ازهاق الارواح، وسفك الدماء، ونهب الاموال، وهتك الاعراض، وتدمير المدن، وتهجير ونزوح للملايين من المسلمين، فرارا من دولة الرعب والخوف والقتل، الدولة الاسلامية المزعومة، كل هذا يتم باسم الاسلام واقامة احكامه وتطبيق شريعته واحياء وتطبيق سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وكل هذا مبني على التضليل والتحريف في معنى السنة، وعلى الفهم الخاطئ لها، وطريقة التعامل معها، فلا بد اذن من وقفة ضد هذا التضليل والتحريف، لكي نحمي انفسنا ونحمي شبابنا من السير في هذا الطريق الذي رأينا نتيجته واثره على انفسنا وعلى اوطاننا وامتنا.

الخاتمة :

من حيث المبدأ فان التطرف كفكر وسلوك يمكن ان يتواجد في كل الاديان والمذاهب والفرق، اذا توافرت الاسباب والدوافع، وايضا اذا توافرت الرغبة والقناعة لدى الشخص نفسه.

ومن الحق ان نقول انه لا يمكن ان نحصر اسباب التطرف بالعامل الديني وحده، فهناك عوامل كثيرة يمكن ان تسهم وبشكل فاعل ومؤثر في تشكيل الفكر والسلوك المتطرف لدى الانسان، كالشعور

---

[١] - مسند الامام احمد بن حنبل - احمد بن حنبل ابو عبدالله الشيباني- تحقيق :شعيب الارناؤوط- مؤسسة قرطبة- القاهرة - بدون ت- ج٢- ص١٧٧- رقم الحديث ٦٦٥٠- حسن لغيره

بالظلم، والغبن، وهدر الكرامة، وسلب الحرية، ووجود العدوان، والكبت النفسي والاجتماعي، فضلا عن العوز والفاقة والحرمان، فهذه كلها اسباب يمكن ان تؤدي الى التطرف الفكري والسلوكي بشتى انواعه ومستوياته.

ولكن بلا شك يبقى التطرف الديني والمذهبي هو اخطر شكل من اشكال التطرف، لأنه يكون اكثر رسوخا في العقل، ومعتنقه يكون اكثر تمسكا به، ذلك ان قسما كبيرا من هؤلاء المتطرفين يكونون مقتنعين بانهم على صواب، وانهم يسيرون وفق رغبة الله سبحانه وتعالى، ينفذون اوامره ويخدمون دينه، وان منتهاهم سيكون بلا شك الى الجنة، ما داموا على هذا الفكر والسلوك.

وهذه القناعة وفرتها لهم نصوص دينية، فهموها او أفهمها لهم اخرون ورسخوها في اذهانهم وقلوبهم وعقولهم، بغض النظر عن صحة هذه النصوص، او عن معناها الحقيقي، او المراد منها، حتى صاروا يستغربون من مخالفيهم او منتقديهم .

ان فكرة التطرف ستبقى متاحة في المستقبل، كما هي متاحة الان، وكما كانت متاحة في الماضي، ما دامت هذه الطريقة في فهم الدين، وهذه الطريقة في التعاطي مع النصوص قائمة، حيث ستوجد في كل زمان ومكان الجهة التي سترغب في الاساءة للإسلام والمسلمين، وفي اضعاف الشعوب المسلمة، والابقاء على حالة الجهل والتأخر والتبعية فيهم، ليس فقط من اجل مصالح شخصية او جهوية لتيارات وفرق ومذاهب معينة، وانما ايضا كجزء من مؤامرة كبرى يشترك فيها اعداء الاسلام مع ضعاف النفوس وبائعي الضمير من الخونة والمنافين والعملاء الذين باعوا اخرتهم بدنياهم . وخانوا الله ورسوله وامتهم وشعوبهم .

المصادر:

اولا: قائمة الكتب:

١- اصول الحديث علومه ومصطلحه- محمد عجاج الخطيب- ط٢- دار الفكر- بيروت- ٢٠٠٦

٢- الاعلام- خير الدين الزركلي- دار العلم للملايين- بيروت- ط٥- ١٩٨٠

٣- التبر المسبوك في ذيل السلوك- محمد بن عبد الرحمن السخاوي- تحقيق: نجوى مصطفى كامل ولبيبة ابراهيم مصطفى- دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة- ٢٠٠٢

٤- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي- عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي- تحقيق: مازن بن محمد السرساوي- دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية- ط١-١٤٢١هـ

٥- توثيق السنة في القرن الثاني الهجري اسسه واتجاهاته-رفعت بن فوزي بن عبد المطلب-مكتبة الخنانجي-مصر-ط١- بدون ت

٦- توجيه النظر الى اصول الاثر- طاهر الجزائري الدمشقي- ط١-المطبعة الجمالية-مصر- ١٩١٠

٧- توضيح الافكار لمعاني تنقيح الانظار- محمد بن اسماعيل الامير الحسني الصنعاني- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- المكتبة السلفية- المدينة المنورة- بدون ت

٨- تيارات الفكر الاسلامي- محمد عمارة- دار الشروق- مصر- ط٢- ١٩٩٧

٩- الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به-عبد الكريم بن عبدالله الخضير-مكتبة دار المنهاج- الرياض- ط١-١٤٢٥هـ

١٠-الحديث والمحدثون- محمد محمد ابو زهو- دائرة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد-الرياض-ط٢- ١٩٨٤

١١-دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه- محمد مصطفى الاعظمي،المكتب الاسلامي،دمشق،١٩٨٠

١٢-ذيل تذكرة الحفاظ- شمس الدين ابو المحاسن محمد بن علي الذهبي-دراسة وتحقيق: زكريا عميرات- دار الكتب العلمية -بيروت- بدون ت

١٣-السنة قبل التدوين - محمد عجاج الخطيب- مكتبة وهبة - القاهرة- ط٢- ١٩٨٨

١٤-السنة مصدرا للمعرفة والحضارة- يوسف القرضاوي- ط٢- دار الشروق- ٢٠٠٢

١٥-السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي،عبد الفتاح ابو غدة،دار البشائر الاسلامية،ط٢،بيروت- ٢٠١٠

١٦-السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي- مصطفى السباعي- المكتب الاسلامي، ط٢،بيروت- ١٩٧٦

١٧-سنن الترمذي- ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي- حققه وصححه: عبد الوهاب عبد اللطيف- دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- بدون ت

١٨-سير اعلام النبلاء - شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد الذهبي - تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارناؤوط - مؤسسة الرسالة - ط٣-١٩٨٥

١٩-شرح شرح نخبة الفكر في مصطلحات اهل الاثر- نور الدين ابو الحسن علي بن سلطان محمد القاري الهروي- تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم - دار الارقم- لبنان- بدون ت

٢٠-صحيح البخاري- محمد بن اسماعيل البخاري- تحقيق: محمد زهير ناصر- دار طوق النجاة- ط١- بدون ت

٢١-صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار احياء التراث العربي- بيروت- بدون ت

٢٢-العصريون معتزلة اليوم- يوسف كمال الحوت- دار الوفاء- ط١-١٩٨٦

٢٣-علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة،صبحي الصالح،دار العلم للملايين بيروت،ط١٥-١٩٨٤.

٢٤- علوم الحديث ونصوص من الاثر- رشدي عليان وقحطان الدوري وكاظم فتحي الراوي- بدون ت- طبع على نفقة جامعة بغداد وهو المقرر الدراسي لطلبة كليات الآداب في الجامعة

٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري- احمد بن علي بن حجر العسقلاني،دار المعرفة-بيروت-١٣٧٩هـ

٢٦- فتح المغيث شرح الفية الحديث- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي- دار الكتب العلمية- لبنان- ١٤٠٣

٢٧- كيف نتعامل مع السنة النبوية- يوسف القرضاوي- ط١٤- دار الشروق- القاهرة- ٢٠١٢

٢٨- لسان العرب- محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري- دار صادر- بيروت- ط١-بدون ت

٢٩- مباحث في علوم الحديث - مناع القطان - مكتبة وهبة - القاهرة- ط٤- ٢٠٠٤

٣٠- مجموع الفتاوى- تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني- تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،المملكة العربية السعودية،١٩٩٥

٣١- مسند الامام احمد بن حنبل- احمد بن حنبل ابو عبدالله الشيباني- تحقيق: شعيب الارناؤوط- مؤسسة قرطبة- القاهرة - بدون ت

٣٢- المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الاولياء النووي- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي- تحقيق : احمد فريد المزيدي- دار الكتب العلمية- بيروت-ط١- ٢٠٠٥

٣٣-الموسوعة العربية العالمية- مجموعة من العلماء والباحثين- من على موقع الموسوعة العربية العالمية- www.wikipedia.org

٣٤-وفيات الاعيان وابناء الزمان- ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان - تحقيق احسان عباس- دار صادر- بيروت- ١٩٦٨

ثانيا:قائمةالبحوث

١- اتخاذ السنة النبوية الى جانب القران الكريم اساسا لشؤون الحياة والحكم- عبد الرحيم بن محمد المغذوي- ندوة رعاية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية-٢٠٠٤- من على موقع الموسوعة الشاملة:

٢- اختلاف المحدثين والاصوليين في منهج نقد السنة - حاتم بن عارف الشريف- مركز نماء للبحوث والدراسات- ص٢ - من على الموقع : www.nama-center.com

٣- التصنيف في السُّنَّة النبوية من بداية المنتصف الثاني للقرن الرابع عشر الهجري إلى الوقت الحاضر- عَرْض تاريخي- خلدون الاحدب- ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة النبوية

٤- الرد على مزاعم المستشرقين اجناتس و غولدتسيهر ويوسف ساخت ومن ايدهما من المستغربين - عبدالله عبد الرحمن الخطيب- ص٣ - ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة

٥- السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقران الكريم – شيخة بنت مفرج المفرج- بحث مقدم الى ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة

٦- السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقران- الحسين ايت سعيد – بحث مقدم الى ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة

٧- السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الاسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والعمل- محمد ابو بكر با جمعان- بحث مقدم الى ندوة عناية المملكة بالسنة والحديث

٨- السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الاسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والمرتبة والعمل – رقية بنت نصر الله محمد نياز- بحث مقدم الى ندوة السنة النبوية.

ثالثا: قائمة الدوريات:

١- اصول الاسلام- طه البشري- مجلة المنار- المجلد ٩- ص ٦٩٩- وايضا الدين والعقل- طه البشري- مجلة المنار- المجلد ٩

٢- تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة اليها- سليمان الندوي- مجلة المنار- العدد ٣٠

٣- السنن والاحاديث النبوية- صالح بن علي اليافعي- المجلد ١١- ص١٤١-٢١٤-٢٩٢-٣٧١-٤٥٤- ٥٢١. سلسلة من المقالات نشرت في مجلة المنار

٤- السنن والاحاديث النبوية- محمد توفيق صدقي- مجلة المنار- المجلد ١١.